أين الجيل الجديد في «فتح»؟

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

ليس إعلان رئيس السلطة الوطنيّة محمود عبّاس (أبومازن) عن تأجيل الانتخابات التشريعية الفلسطينية المقررة أصلا في الثاني والعشرين من أيّار – مايو الجاري سوى دليل على رغبة في المحافظة على الجمود. أكثر من ذلك، إنّه دليل على وجود أزمة عميقة داخل السلطة الوطنيّة الفلسطينية وداخل حركة "فتح" بالذات التي هي في أساس قيام السلطة الوطنيّة بعد توقيع اتفاق أوسلو في العام 1993.

رئيس السلطة الوطنيّة الذي هو في الوقت ذاته زعيم «فتح» لعب دورا مهمّا في مجال شرذمة الحركة في ضوء رفضه أي شراكة في القرار. كانت النتيجة إلغاء الحركة وخروج كثيرين منها اعترضوا على الطريقة التي تدار بها

يساعد في تكريس الجمود الموقف الإسرائيلي الذي يبدو أنّه غير راغب في تسهيل إجراء انتخابات، أقلّه في الوقت الحاضر. يساعد في ذلك أيضا غياب الحماسة الأميركية للانتخابات الفلسطينية في ظلّ مخاوف عبّرت عنها شخصيات سياسية وأكاديمية عدّة في واشنطن تخشى من نتائج هذه الانتخابات، خصوصا في حال انتهت بسيطرة "حماس" على المجلس التشريعي. كان رأي هذه الشخصيات في بيان أصدرته قبل أسابيع عدّة أنّ لا أمل يرتجى من الانتخابات في حال نتج عنها مجلس تشريعي يرفض التسوية السلميّة والأسس التي قامت عليها أصلا.

يمكن تعداد أسباب كثيرة للقرار الذي اتخّذه "أبومازن" والقاضي بتأجيل الانتخابات التشريعية وربّما الانتخابات الرئاسية المقرّرة في تموز – يوليو المقبل. مثل هذا التأجيل يعني بقاء رئيسا مدى الحياة وذلك بعدما خلف ياسر عرفات إثر وفاته في تشرين الثاني – نوفمبر 2004. أصبح "أبومازن" رئيسا للسلطة الوطنيّة واللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير وزعيما لـ"فتح" بعدما تبيّن أنّه الوحيد الذي لا يزال يتمتع بما يكفي من الصحّة والعافية من بين أفراد القيادة التاريخيّة لحركة "فتح".

في الواقع استفاد رئيس السلطة الوطنيّة الفلسطينية من غياب شخصيتين في "فتح" كان يمكن أن تخلف إحداهما "أبوعمار" هما خليل الوزير (أبوجهاد) الذي اغتاله الإسرائيليون في تونس في نيسان – أبريل من العام 1988 وصلاح خلف (أبوإيّاد) الذي اغتاله إرهابي من جماعة صبري البنّا (أبونضال) المنشقّة عن "فتح"، في تونس أواخر العام 1990.

بالنسبة إلى شخص مثل "أبومازن"، صار في الـ85 من العمر، يُغني تأجيل الانتخابات عن إحراجات كثيرة في مقدّمها انكشاف حركة "فتح" وتحوّلها إلى قبائل وعشائر في عهده. كلّ ما في الأمر أنّ رئيس السلطة الوطنيّة الذي هو في الوقت ذاته زعيم "فتح" لعب دورا مهمّا في مجال شرذمة الحركة في ضوء رفضه أي شراكة في القرار. كانت النتيجة إلغاء حركة "فتح" وخروج كثيرين منها اعترضوا على الطريقة التي تدار بها الحركة والتي لم يعد في داخلها من مجال لأيّ أخذ ورد أو نقاش مفيد. هناك من طردوا من الحركة لمجرد اعتراضهم على "أبومازن" الذي كان مأخذه على "أبوعمّار" طغيانه على القرار الفلسطيني!

مقارنة مع ما كان عليه الوضع أيّام ياسر عرفات، يمكن القول إنّ "أبومازن" تحوّل إلى حاكم عربي آخر من فصيلة البعثيين الذين لا يقبلون أي شخص يستطيع قول كلمة "لا" أو "ولكن".

يظلّ الفشل الأكبر للسلطة الوطنيّة، التي لن تنقذها مشاورات بين فصائل لم تعد موجودة، بل أكل الدهر عليها وشرب، مثل "الجبهة الديمقراطيّة" أو "جبهة النضال" أو "الجبهة الشعبيّة – القيادة العامة" وما شابه، ذلك السقوط المريع لمؤسسات السلطة. لم تستطع السلطة بناء أي مؤسسات من أيّ نوع في الأراضي المحتلّة. لم تستطع هذه السلطة المحافظة على غزّة التي صارت "إمارة إسلاميّة" تتحكّم بها "حماس" بكل تخلّفها.

الأكيد أن إسرائيل لم تساعد في قيام أيّ مؤسسات فلسطينية، خصوصا مع صعود اليمين والإصرار على القضاء على خيار الدولتين. لكنّ شيئا لم يمنع تطوير "فتح" وحتّى منظمة التحرير الفلسطينية والعمل في الوقت ذاته على إقامة إدارة تتمتّع بحدّ أدنى من الشفافيّة.

ليس إلغاء الانتخابات التشريعية سوى تتويج للفشل الذي حوّل السلطة الوطنيّة إلى مجرّد أداة أمنيّة تعمل في خدمة الاحتلال بدل أن تكون في خدمة الشعب الفلسطيني. الموضوع ليس موضوع بطولات ولا شعارات رنّانة. الموضوع موضوع القيام بعمل مفيد ومواجهة الاحتلال بالوسائل السلميّة في الوقت ذاته. العمل المفيد يعني هنا قبل أيّ شيء آخر الابتعاد عن فكرة القائد الأوحد والرئيس مدى الحياة.

ليس صحيحا أن "أبومازن" أجّل الانتخابات من أجل القدس. يمكن إيجاد طريقة لمشاركة المقدسيين في هذه الانتخابات. أجّلها بعدما اكتشف أنّ "فتح" منقسمة على نفسها وأنّ لوائح فتحاويّة أخرى يرعاها ناصر القدوة (ابن شقيقة ياسر عرفات) أو محمد دحلان ستحقّق نتائج أفضل من نتائج ما بقي من "فتح" التي يتزعّمها "أبومازن".

الغريب أن يتفاجأ رئيس السلطة الوطنيّة بالأرقام التي قدمت له والتي أعطته فكرة عمّا يفترض أن ينتظره من الانتخابات. ما هو أغرب من ذلك أن يطلق العنان لشتائم موجهة إلى الصين وروسيا وأميركا... والعرب في اجتماع لقيادة "فتح" تعبيرا عن سخطه وضيق صدره.

لعلّ أخطر ما في الأمر أنّ تأجيل الانتخابات يغلق كل الأبواب أمام التغيير السلمي في فلسطين. هناك شباب فلسطيني كان يبحث عن مثل هذا التغيير وهناك قيادة عجوزة لم تهيِّئ لأي تغيير من الداخل. هذا حدث في أماكن كثيرة في العالم، بما في ذلك في بلد متحضر مثل تونس حيث أراد الحبيب بورقيبة البقاء رئيسا مدى الحياة. جاء من يزيحه بعد تجاوزه الثمانين وإصراره على البقاء في السلطة. استطاع زين العابدين بن علي، بحسناته وسيئاته، توفير سنوات عدة من الرخاء لتونس بين 1987 و2010.

من يستطيع اقتلاع "أبومازن" الآن وإقناعه بضرورة الذهاب إلى منزله والتمتّع بالحياة بعيدا عن هموم سلطة صارت عبئا عليه، بل صارت عبئا على الفلسطينيين وقضيّتهم؟ أين الجيل الجديد في "فتح"؟

جمود سياسي داخل حركة فتح

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

أسئلة بلغة طائفية اضطرارا

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

كيف يرى الشيعة العراقيون، أولا، والشيعة العرب، ثانيا، والإيرانيون ثالثا، نهاية الحرب المذهبية التي أشعلها الخميني قبل ما يقرب من نصف قرن، ثم واصل إشعالها ورثتُه من بعده؟

ومتى يتوقعون لها النهاية؟

وكم سيسقط فيها، إضافة إلى من سقط، من قتلى وجرحى ومعوقين وأسرى ومغيبين شيعة؟

ومن يعتقدون بأنه سيكون المنتصر الأخير فيها؟

مقدما لا بد من القول بأن جواب النظام الإيراني على أسئلة من هذا النوع معروف، ولا أحد يريد مزيداً منه أو عليه، فهو قائم، أساساً، على ثقته الثابتة بانتصاره الحتمي فيها، في النهاية، على خصومه ومعارضيه أجمعين، وذلك لأنه، حسب نظريته الولائية، "موجود فقط للتمهيد لعودة الإمام الغائب، ولنصرة الطائفة، ولتعويضها عن الظلم التاريخي الذي ألحقه بها أعداؤها السنة على مدى قرون".

ولكن الأحزاب والتجمعات الإيرانية (الفارسية الشيعية) المعارضة، تحديداً، تؤكد أن هذا الزعم قد ثبت بطلانُه من أول أيام تأسس فيها هذا النظام عام 1979 بسلوكه الموثق والمؤرخ والمنهج الذي أرسى دكتاتورية جديدة ألحقت بالشيعة، قبل غيرهم وأكثر من غيرهم، أسوأ أنواع الاستغفال والتضليل والظلم والقمع والإفقار ومصادرة الحريات وإهانة الكرامات، إضافةً إلى ما فعلته بهم ماكنة حروبه التي جللت أغلب منازلهم برايات العزاء السود.

وتقول هذه المعارضات الإيرانية، من خلال نشاطاتها ومؤتمراتها وخطاباتها وأدبيّاتها، إن إصرار المعمّمين القوميين الفرس القوّامين على هذه الحروب على إلباسها الطابع الديني المذهبي المتطرف إنما هو تقيةٌ متقنة يستخدمونها لكي يَسوقوا أكبر عدد ممكن من شباب الشيعة، وخصوصا من شيعة العراق واليمن ولبنان وبعض بلدان الخليج العربية، إلى حمل سلاحهم والموت من أجلهم على جبهات القتال.

ومن الثابت على أرض الواقع المرئي والملموس في إيران ذاتها أن ثلث الإيرانيين اليوم تحت خط الفقر، وملايين أخرى منهم تعيش الضنك بصمت بعد تدهور العملة والعزلة الإقليمية والدولية التي خنقت المحكوم أكثر من الحاكم، ومع كل ذلك فساد الطبقة الحاكمة وفشل سياساتها وهدرها لواردات الدولة، رغم قلتها، على الحروب الخارجية دون أمل في خلاص قريب.

وفي العراق الذي هو رئة التنفس الأهم والأكثر مصيرية وجودية للنظام الإيراني، وفي لبنان قاعدته المتقدمة الحيوية الأخرى لو دققنا في التظاهرات الغاضبة الهاتفة ضده في محافظات العراق الشيعية والمناطق الشيعية اللبنانية، أيضا، لوجدنا أن محركها الحقيقي هو واحد من ثلاثة، الفقر والقمع والفساد.

فبالرغم من أن محافظات الجنوب العراقية، مثلا، هي أكثر المحافظات إنتاجا للنفط، إلا أنها الأكثر حرمانا من وارداته التي ثبت أنها تُسرق من قبل الإيرانيين ووكلائهم العراقيين الشيعة الأكثر تمسكا بالطقوس المذهبية، الأمر الذي جعل المتظاهرين الشيعة يكرّرون هتافهم الدائم "باسم الدين باكَونا الحرامية"، (وتعني باسم الدين سرَقنا اللصوص).

كما أن أغلب ملفات الفساد والرشوة والمشاريع الوهمية التي لم يعاقَب أحدٌ عليها هي من نصيب السياسيين العراقيين الشيعة دون شك.

وفي لبنان، كالعراق، تصدر معمّمو حزب الله قوائم المهربين والمزوّرين والفاسدين، والمعتدين لا على الحكومة اللبنانية وحدها بل على عموم الدولة في حاضرها البائس وغدها الأكثر بؤسا وإفلاسا وفشلا وبلا حدود.

إصرار المعمّمين القوميين الفرس القوّامين على هذه الحروب على إلباسها الطابع المذهبي المتطرف إنما هو تقيةٌ متقنة يستخدمونها لكي يسوقوا أكبر عدد من شباب الشيعة، وخصوصا من شيعة العراق واليمن ولبنان وبعض بلدان الخليج، إلى حمل السلاح والموت من أجلهم

وهنا نسأل الشيعة العراقيين والعرب والإيرانيين المناصرين للنظام الإيراني المتسبب الأوحد في شقاء أبناء الطائفة وفي خراب محافظاتهم:

أيُّ السياستين الإيرانيتين أكثرُ قدرة على استمالة عموم المواطنين وترويضهم وانتزاع قبولهم، طواعيةً، بنظام المعممين الإيرانيين، سياسةُ الإرضاء والاستثمار المالي والثقافي والصحي والصناعي والزراعي والاجتماعي والديني، أم سياسة القمع والاغتيال وتفجير المفخخات وتخريب الصناعة والزراعة وإشاعة البطالة والفساد وتبني عصابات الإرهاب في الدول الأخرى وحماية مسلحيها خونة أوطانهم الفاسدين الجهلة الطائفيين المتخلفين المزورين، وتسليطهم على باقي فئات الشعب وطوائفه وأديانه وقوميّاته المتعددة، وإغضاب الملايين الصابرة، وجعلها تترقب الساعة التي ترى فيها نهاية عهد الطاغوت الإيراني البغيض؟

سؤال آخر، كم يبلغ عدد الموالين لدكتاتورية الولي الفقيه من الإيرانيين والعراقيين واللبنانيين واليمنيين والفلسطينيين مقابل غير الموالين؟ إذن أليس غباءً أن يحتضن النظام الإيراني هذه الزمر القليلة الناشزة المنبوذة المكروهة وأن يسلّحَها وأن يسلّطها ليس على الملايين من غير الشيعة، فقط، بل على أبناء الطائفة ذاتها.

أليس هذا كافيا لجعل هذه الشعوب المقموعة المفجوعة تؤيد وتتمنى وتنتظر وتبارك أن تأتيها النجدة حتى من الشياطين لتخليصها من هذا الكابوس؟

يقول معمم عراقي شيعي ظل علمانيا طيلة السنين الماضية، ومعارضا شديدا لهيمنة المعمّمين الإيرانيين على مذهب التشيع، ومنكرا على الخميني وعلى خليفته المرشد الأعلى علي خامنئي ولاية الفقيه، في لقاء تلفزيوني أذيع مؤخرا "إن تسعين في المئة من شيعة العالم يؤيدون النظام الإيراني ويناصرونه ويتمنون حصوله على السلاح النووي".

ورغم أن هذا الزعم يحتاج إلى مسح ميداني علمي دقيق لإثباته إلا أن افتراض صحته يزيد من حراجة موقف الشيعة العراقيين والعرب والإيرانيين، ويضعهم أم السؤال الصعب، هل هم مؤمنون، حقا، في عصر الديمقراطيات العلمانية الجديد أن تنتصر دولةٌ طائفية عدوانية مشاكسة تقيمها أقليةٌ على مليار ونصف المليار من معارضيها السنة الذين تُجاهر بإصرارها على احتلال بلادهم واستعبادهم وإذلالهم ونهب خيراتهم، وعلى ملايين من شعوب غير عربية وغير مسلمة أخرى في العالم نالها شررٌ من حرائق أشعلها المعممون الإيرانيون؟

فإن أجابوا بـ"نعم" فتلك مصيبة وسذاجة وغفلة وسباحة في المجهول، وإن أجابوا بـ"لا" فتلك حماقة، لأنهم يجهلون أن لها أثمانها الباهظة التي لا بد أن يدفعوها في قادم الأيام.

العراق ضحية المشروع الطائفي لإيران